

كيف كانت:

العلاقات الإسلامية اليهودية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

بقلم

الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن عتلم

أستاذ، الدورة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين بالمنوفية

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. جعل العاقبة للمتقين... ولا عدوان إلا على الظالمين...
الذين تنكبوا الصراط المستقيم... من المضروب عليهم... الضالين المكذبين.
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن لا يعيش الإنسان وحده بمعزل عن مجتمعه،
فلا يستطيع أن يحقق وحده ضرورات الحياة اللازمة له ولا غنى له عنها... ومن هنا
كان التعامل بين أفراد المجتمع لتبادل المنافع واستمرارية الحياة..

واليهود من فئات المجتمع التي لا تنفصل عنه... ولكنها لغة شاذة في التعامل
مع الآخرين حيث يعتبرون أنفسهم... فوق الجميع حتى صور لهم تفكيرهم المريض أنهم
شعب الله المختار " أو كما سجل القرآن الكريم كتاب الميثاق عنهم... أنهم قالوا: " نحن
أبناء الله وأحبواؤه " .. ورد الله عليهم هذه القرية بقوله .. قل فلم يهديكم بلنبيكم..
بل أنتم بشر من خلق ..^(١) وسجل أنانيتهم وظلمهم لغيرهم في ليله... ذلك
بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل... يستبيحون كل شيء من الغيب لهم من
نفس... ومال... وعرض... وغير ذلك. وقد رده الله عز وجل عليهم ذلك أيضا بقوله
سبحانه «... ويقولون هللى الله الكذب وهم يعلمون»^(٢) وسبب هذه الاقتراعات وذلك
الشذوذ في التعامل عاقبتهم الله تعالى وأثبت القرآن الكريم ذلك: « فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وصددهم عن سبيل الله كثيرا... وأخذهم الربا
وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل...»^(٣)

١- سورة المائدة من الآية ١٨١. ٢- سورة آل عمران الآية ٧٥.

٣- سورة النساء الأيتان (١٦٠-١٦١).

فياترى كيف كانت العلاقات الإسلامية اليهودية فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم»

هذا ما نريد إلقاء الضوء عليه من خلال ذلك البحث.. تسترجع فيه الأحداث من قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ومبعثه...

١- كيف قدم اليهود إلى جزيرة العرب عامة وتوطنهم فى بئر حارثة مع بيان أحوالهم بعد قدومهم : إجتماعياً... واقتصادياً... وسياسياً... ودينياً.

٢- بيان أسس العلاقات ومبادئها فى الإسلام بين المسلمين وبين المسلمين وغيرهم من اليهود خاصة : فى حال السلم، وفى حال الحرب والمواجهة.

٣- وفيها نرصد كل جولة من جولات الصراع فى التعامل بين الدين الإسلامى ورسوله الكريم والعصبات اليهودية التى كانت موجودة فى الجزيرة العربية.. والنسب القريب صورة مشوقة لمساحة الإسلام ونبيه وتسامح المسلمين وحرصهم على الأمن والسلام والوفاء مع ما كان عليه اليهود من الشره وتكث العهود وتدهير المكائد..

وفى نفس الوقت الحزم والصرامة فى قمع المتمردين الذين يعلنون نقضهم للعهد ويحاولون مع الأعداء وإلحاق الأذى بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، عندما تتأزم الأمور بين الطرفين ويحدث المواجهة بأسبابها.. وفى ذلك يتجلى عدل الإسلام وأهله فى معاملته اليهود قبل الحرب.. وفى أثنائها.. وبعد انتهائها.. منها، وإبراز ما يترتب على كل مواجهة من نتائج... كل ذلك لتكون أساساً فى التعامل لمن يأتى بعد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحاضر وإلى أن تقوم الساعة..

وأرأى أنى أسست نفسى إلى تأمل مستغرق.. طويت فيه أبعاد الزمان والمكان إلى شرح الأحداث الكبار التى عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وترجموا مواقف لم تكن خططا موضوعة، وليست من صنع البشر ولكن تكلفت بها العقيدة الحقة وكانت بتدبير من خالق البشر، وسطرت لنا من المواقف التى تربط الماضى بالحاضر.. الماضى الحى.. والحاضر المشهود... فما تتجلى رؤية الأمنى إلا فى غمرة من

ظلال اليوم... ولا تمتزج عطر التاريخ لتلك الحنية، إلا مشوبا بأنفاس الواقع الذي تعيشه أمة الإسلام في صراعها مع أعداء النور وحزب الشيطان... « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا... »^(١) لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا... اليهود والذين أشركوا...^(٢) « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »^(٣) وبالله التوفيق هو حسبنا ونعم الوكيل.

دكتور / إبراهيم عبد الرحمن حاتم

أستاذ مساعد الدعوة

كلية أصول الدين المتوفقة

جامعة الأزهر

١- سورة البقرة من الآية رقم {٢١٧}.

٢- سورة المائدة من الآية رقم {٨٢}.

٣- سورة يوسف من الآية رقم {٢٢٩}.

كيف وصل اليهود إلى المدينة

جدير بنا قبل الحديث عن العلاقات الإسلامية اليهودية ، أن نلقى الضوء على قدوم اليهود إلى الجزيرة العربية بعامة وإلى يثرب بصفة خاصة ، ونوضح جانباً من نشاطهم ، وأحوالهم قبل الأسلام ، لتكون الصورة واضحة.

تحدثنا الكتب التاريخية أن اليهود قدموا إلى الجزيرة العربية ، وحلوا يثرب قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين وذلك « بعد الحرب التي وقعت بينهم وبين الرومان سنة ٧٠م وانتهت بهزيمتهم وتفرقهم بين الأمصار وتشقتهم في بلاد العالم لحل فريق منهم في جزيرة العرب واستوطنوا يثرب » وتجمع هؤلاء اليهود في « يثرب » في ثلاث قبائل كبرى هي بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وتفرع من هذه القبائل فروع كثيرة.

فمن فروع بني قريظة بنو هذيل ، وبنو زباج ، ومنهم يهود بني عوف ، ويهود بني ساعدة ، ويهود بني ثعلبة ، وبني حنيفة ، وبني الحارث ، وغيرها ، وقد تفرقت القبائل وفروعها في وسط يثرب وتوابعها ، فمنهم من أقام بالعالية بوادي بطحان وهم بنو النضير ، ومنهم من أقام في منطقة مهزور بجنوب المدينة وهم بنو قريظة ، وأما بنو قينقاع فكانوا يقيمون في محلة خاصة بهم وسط يثرب.^(١)

وكانت أماكنهم وقراهم محصنة ، ويعيشون فيها متكئين كما أشار القرآن الكريم « لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار بأسهم بينهم شديد تحصنهم جميعاً وقلوبهم شتى »^(٢) وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله...^(٣) وقد صور ذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه خاتم النبیین نوره بإيجاز حيث

١- وفاة الوفا في أخبار دار المصطفى ص ١١٦ ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٠٠ إسرائيل ولقون ص ٩٠

٢- سورة الحشر من الآية رقم (٢٠).

٣- سورة الحشر من الآية رقم (١٦).

يقول: « كانت أرض العرب مأوى لأصحاب الديانات الذين قروا من الاضطهادات كاليهود الذين قروا من التتار والرومان من بعدها إلى بلاد العرب حيث وجدوا الملاذ ابتداءً في أرض اليمن... وقد اعتنق اليهودية بعض اليمنيين. وقد عاش اليهود الأوس والخزرج في موطنهم الأصلي باليمن، ولما هاجر أولئك الوثنيون إلى يثرب هاجر اليهود أيضاً إلى ما حول يثرب، فهاجر بنو النضير وبنو قريظة، وبنو كينقاع وخيبر ولم يندمجوا في الشعب العربي بل اتخذوا حصوناً تحتويهم حيث أقاموا وانتجعوا الحصب من الأرض فكان لهم النخيل والتمر في يثرب.. وكانوا كشأنهم أثريين يجهلون أنفسهم ولا يتعاملون مع العرب، وإن تعاملوا معهم ينجسونهم، وخالفهم عهودهم كما قاله الله تعالى: « ومنهم من إن تأمنه دينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً.. ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل.. ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون^(١) » فالعرب الذين أودهم وأنزلوهم أبواهم عليهم المعاملة الطيبة، ونظروا إليهم على أنهم دونهم وأنهم أميون، والأمرى بؤكل حقه في زعمهم الباطل ومنطقهم الأثيم، وجانبوهم وعجزوا في حيز دولهم، وعاشوا بجوارهم بأخذون ولا يعطون^(٢) »

وبهذا استقرت أوضاع اليهود في يثرب، وكونوا مع زعماء العرب علاقات ومحالقات، وكان بعض زعماء العرب يشكل فرقاً منهم لحراسته مقابل إتاوات يأخذها اليهود منهم كل عام، كما كانت لهم أماكنهم الخاصة بعبادتهم وتعليبهم تسمى « المدارس » يتدارسون فيها أمور دينهم وأحكام شريعتهم كما كانت لهم أعيادهم الخاصة بهم وتشريعاتهم التي تنظم أمور دينهم ودنياهم.

أحوالهم الاقتصادية:-

أما عن أحوالهم الاقتصادية، فقد كان اليهود أكثر ثنى وأموالاً من العرب،

١- سورة آل عمران من الآية رقم (١٧٥).

٢- خام النبيين ص ٥٦، ٥٧ وانظر أيضاً صفحات ٣٤٦، ٤٦٥، ٤٦٦.

وكانوا يتحكمون في كثير من الجوانب الاقتصادية حيث كانت الصناعات في أيديهم، وكانت عامة بنى قبتقاعه صاغته^(١١) وكانوا أكثر طوائف اليهود مالا، ولهذا الانتعاش الاقتصادي كانوا يقرضون أهل بشرب الأموال بالربا والرهن وكانوا حرصين على استمرار سيطرتهم الاقتصادية بأي شكل، ولهذا كانت المادة تتحكم في جميع علاقاتهم، فإن كان في العلاقة كسب مادي ومنفعة شخصية حرصوا عليها، وإن تعرضت المصلحة المادية لأي خطر أقاموا الحرب وأشعلوها بين القبائل العربية لضعفوا فتبقى لهم السيادة والسيطرة الاقتصادية.

وكان لهذا الأسلوب تأثيره فتهود بعض العرب بل وحصل الأمر ببعض من كان لا يعيش له ولد أن ينلر إذا ولد له ولد وعاش أن يهوده^(١٢) فكان في المدينة أيضا عدد من يهود العرب الذين دخلوا اليهودية بهذه الطريقة أو غيرها.

وكان بعضهم يشتغل بالتجارة والزراعة حتى تستطيع القول بأنهم سيطروا على جميع النشاط الاجتماعي والاقتصادية علاوة على التأثيرات الدينية.

يقول الأستاذ حمزة دروزة: «عرف العرب الحجازيون أهل الكتاب من يهود ونصارى في بلاد الحجاز والشام، واحتكوا بهم وأخذوا عنهم كثيرا من الأفكار والمعارف، ومنهم من دأب باليهودية والنصرانية وتضلع باللغة العبرانية، واطلع على ماعند اليهود والنصارى من كتب، وقد عرفوا كذلك ماكان عليه أهل الكتاب من خلاف وشقاق في الأمور الدينية والمذهبية، وكان لكل ذلك سدى وأثر في نفوسهم وأذهانهم^(١٣)، ثم يقول: «وكان العرب يمتدنون على علماتهم ويشقون بهم ولذا احتج الله تعالى على المشركين بمعرفة علماء بني إسرائيل يصدق القرآن الكريم كقولهم عز وجل: «أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل^(١٤) وقوله سبحانه: «الذين أتيناهم

١- مصورغون الذهب، وشاهرون فيه.

٢- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم / محمد حمزة دروزة ج ١ ص ٣٢٧.

٣- سورة الشعراء (١٩٧).

الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...»^(١١) ثم يقول: «ومن الطبيعي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد وقف منذ البدء موقف المسالم المتحبيب من الكتابيين في مكة... ونعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ألهم هذا الموقف لبل نبوته أيضا. وإذا كان بينه وبين بعض الكتابيين صلة ودُ ومبادلة عطف وتصديق»^(١٢). ومن هنا وقف اليهود والنصارى من الدعة المحمدية منذ البدء موقفًا طيبًا بل إن بعضهم قد آمن واتبع كما في قوله تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون»^(١٣).

تلك صورة سريعة عن صلة اليهود بالجزيرة العربية وأحوالهم فيها قبل الإسلام^(١٤).

مبادئ الإسلام في العلاقات :

قبل الحديث عن العلاقات الإسلامية اليهودية وأطوارها نوضح في إيجاز أبرز مبادئ الإسلام في إنشاء العلاقات بين المسلمين وغيرهم لتري إلى أي مدى تسامح الإسلام وأهله وإلى أي حد كان غيرهم متحسفين.

من المعلوم أن الإسلام دين الله سبحانه ورسائله إلى خلقه أجمعين بعث به محمدًا صلى الله عليه وسلم فكانت بعثته اللبنة الأخيرة في زوايا هذا البناء الشامخ، فجاءت شاملة وعامة وصالحة لكل زمان ومكان. يتضح ذلك من مبادئها التي أرسيتها للعلاقة بين الناس وفي مقدمة ذلك :

١- سورة البقرة من الآية (١٤٦).

٢- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم / جزء ويزد من ٢٣٦.

٣- سورة الأعراف الآية (١٥٧).

٤- السيرة النبوية لأبي الحسن النعماني من ١٣٢/١٣٨ وهامش من ١٣٣.

١- أن الناس جميعا عباد الله هو مخالفهم... ورازقهم... ومدير أمورهم... ومصرف أحوالهم... بهذه مقاليد الأمور كلها... وهو على كل شيء قدير... لا إله الا الله... ولا معقب لحكمه، هو المعز وهو المنكز وهو المعطي والمانع. يتوجه الجميع إليه ابتغاء مرضاته... والكل أمامه سواء فلا فضل لأحد على أحد إلا كما قال سبحانه: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (١١) وهو سبحانه رب العالمين... لا إله الا الله... إن فحسب كما يزعم اليهود، وليس له ولد كما يدعون هم والنصارى: «وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه» (١٢).

٢- الأخوة لجميع الناس... لأن أباهم واحد هو "آدم" وأمههم واحدة هي "حواء" قال سبحانه: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» (١٣) لذلك يتعارفون ولا يتناكرون، ويتعاونون ويتحابون، ولا يتخاصمون ولا يتناهبون لقوله عز وجل: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» (١٤) وقد أعلن الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم في أكبر تجمع إسلامي في حجة الوداع في خطبته الجامعة بعددات: «يا أيها الناس إن ربكم واحد... وإن أباهم واحد... كلكم لآدم وآدم من ثراب... ليس لعرب فضل على عجمي إلا بالتقوى... أأهل بلقت، اللهم أشهد...» (١٥).

فالمسلم أخو المسلم وكذا كل إنسان يهوديا كان أو نصرانياً أو غير ذلك.

٣- الإنسان- أيما كان- في الإسلام له كرامته وسمره وعلو قدره حيث قال الله عز وجل: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» (١٦) ونصوص أخرى كثيرة توضح ذلك.

١- سورة الحجرات من الآية رقم (١٣).

٢- سورة المائدة من الآية رقم (١٨).

٣- سورة النساء من الآية رقم (١).

٤- القول المبين في سيرة سيد المرسلين / د/ الطيب النجار ص ٣٣٩.

٥- سورة الاسراء- الآية رقم (٧٠).

ويحيى ذلك الرسول الكريم في أكرم من موقف نحن ذلك مروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال "مر بنا جدار فقام له النبي صلى الله عليه وسلم وسمي ذلك رسول الله إنها جاء يهودي قال صلى الله عليه وسلم يا أيها بن آدم فقوموا بن طوت فزع" (١) يتضح من ذلك أن الإنسان عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم ولا يحرّم إرغاماً من في الأرض يرحمكم من في السماء" (٢)

فليس هذا هو دأب كرامة الإنسان. وسفكو دماً. وستهكو عرصه وأكلوا ماله بالباطل في الشرف وتقرّب على السواء (٣)

٤- اهتم الإسلام بالأخلاق والتربية الخلقية حتى تكون أساساً في تعامل بين الناس وهذا منصوص في القرآن الكريم والسنة يظهره آيات هذا الجانب عبادته باتباعه من ذلك قوله سبحانه و هو الله يأمر بالعدل والإحسان ويأمر بالإحسان ويأمر بالإحسان من الفحش والمنكر والبغى يعظكم بعظكم تذكرون (٤) ويكاد الرسول صلى الله عليه وسلم يحصر بعظم أهداف رسالته في مكارم الأخلاق فيقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ما خلقكم لآئمة مكارم الأخلاق (٥) فالصدق والأمانة والعدل والوفاء والإحسان والبر والعفو والكرم والتسامح والشجاعة ونحوه أي غير ذلك كتب أخلاقاً منهية ربي الإسلام عليها بناء والتمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فليعلموا أي بي مشاري لأرض ومشاربها يعلمون الناس في صوبها وليعلمون علاقاتهم مع الناس على أسس منها

٥- لاسلام دين السلام يرس قواعده بين الناس. ويميم علاقاته معهم على أسسه.

١- هون اليرى شرح صحيح البخاري ج ٢ ص ٦١٢

٢- هون اليرى ج ١ ص ١٣٩ ٣- سورة البقره الآية ٩ ٤- ردد مالك في الموطأ

وبذلك لا ينجأ الإسلام في حال مشاكل في حرب لا حين يعجز بموائيل سلمية
 لأخرى وتصبح الحرب ضرورة لا بد منها ومع هذا فبدأت الحرب في ضرورة
 حين باب السهم مدحج يدعو الله سبحانه ومعالى إليه ويأمر به إذ طلب للحاربين
 ذلك مال عن وجل وإن جمعو بينهم فاحج بها وتوكل على الله به هو "تسبيح
 نعيم وإن يردو أن يحدعوك فإن حين الله هو الذي يدك بعصره وبالموسى"
 ثم قال "لا يهاكم الله من لدين لم يهاكم من دين ولم يخرجكم من دياركم إن
 تبرؤهم ونفسوا بهم إن الله يحب المستطير" لا يهاكم الله عن الدين قاتلهم
 في دين وأخرجكم من دياركم وظاهروا على حرككم "تبرؤهم ومن يتبرؤهم
 فأولئك هم الظالمون" (٢٦)

وحرب هذه مهدى لغزو بكسر يوسف بمرصاوى مستشهد في فقه عرسا
 بواو في كتابه "حصاراً بغير" الحق لا أهم لم يعرف فالحق مستباحين من
 الحرب ولا هذا سمحاً مثل دهم" ثم يقول: لقد حرم الله الشريعة صفاء الآخرين
 ورفضت لإكرام في الدين وفصا بنا "عس لفرأى هذه الحففة لا إكرام في دين قد
 بين الرشيد من يعنى" (٢٦) وحاطب الله رمويه بقوله "أفأنت تكفر ناس حتى يكونوا
 مؤمنين" ولهذا فبر لمزحجون يكن بين أن استلهم لم يهاجروا شعب ولا حنة من
 الناس علم عساق الإسلام بحد وقد كبر قراءاً عديدة يلكن من بقوة وبقوة
 يجرهم بذلك لا سلفاً بشريعة من رؤوسم وورع الإيمان في صدورهم

ثم يستشهد أبى في هذه الروايتون "إن المسلمين رحدهم الدين جمعو بين
 الغيرة وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع اشتغالهم بالحكم بشر

٢- سورة صافات الآية ٨

٣- سورة يوسف من الآية رقم ٩٦

١- سورة الأنفال الآية ٦٦/٦٧

٢- سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٦

يديهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرار من النسخة بعالمهم يديهم كما أشر
 في يدي الأخرى في وصوح ٢ ، وقد ناول فضيلة الشيخ محمد أبو هرة هبة اليدى
 بالتفصيل في كتابه القلم حاتم الميوني^(٣)

نظف بيد عن مبادئ الإسلام وأسس في وث « العلاقات بواقعتها بين المسلمين
 مع بعضهم البعض ومع غيرهم يتجلى من خلالها عظمة الإسلام وسحر مبادئه حتى
 نجد أسمى ما وصلت إليه إنسانية في العلاقات وحقوق الإنسان أقل ما دفع إليه
 لإسلام وأسمى مبادئه وعلقيها بين الناس وكيف يتموون وهذا شرع الله تعالى
 وذلك شرع الأديين المخبرين؟

العلاقات الإسلامية اليهودية،

في صرح ما سبق من تعدد مبادئ إسلامية العامة وفي ظل هدى نبي الاعظم
 صلى الله عليه وسلم يأتي حديث عن العلاقات الإسلامية اليهودية في عهد رسول الله
 عليه وسلم و مدى ينسج هذه العلاقات وأهلها يستطيع نفسه في قسم:

١- في السلم ٢- في الحرب

وسيري، ذلك في كل قسم من هذين القسمين يربهم بعض الوقائع التي كان بها
 خصائصهم ومميزاتهم، هي نعرض على

أولاً: في السلم:

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «دعه مسلماً، وحده يسعى به»
 أدركهم بمن أحقر مصنف فعليه نعمة الله والملائكة رباني جميعاً لا يدين الله منه

١- سيرة الإسلام ٥/ مؤسسة القادسي ص ٥٢

٢- انظر المرجع نفسه ص ٥٤ ٦١

٣- نظار حاتم الميوني ص ٦٥١-٦٧٧

يوم نقباً صرنا ولا عدلاً وإنما " يصنعون تكديفاً ذمناؤهم وهم يد على من سواهم
ويسعى بدمائهم ذمناهم لا يلقين مؤمن بكافر ولا بد عهد من عهده، من أحدث حدث
فعلى نفسه ومن أحدث حدث أو أوى محدثاً فعليه نعمة الله وحلائكه وأناس أجمعين

وثبت عنه أنه قال " من كان يسه ويحب قوم عهد فلا يحل عقده ولا يشدها حتى
يقضى أمدته أو يهد لهم على سوء " وقال " من من رجلاً عني نفسه فهدته فإن يرى
من القاتل وفي لفظ " أعطى لواءه شذر ذب: لكن عذر لواء يوم نقباً صرنا
يلدر غمره يقاب: هذه غمره فلان بن فلان ويذكر أنه قال " من يقض قوم العهد إلا
أهل عيبتهم لعدو " من هب وفي صرنا م تقدم من لمدى ولأسس التي أربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل لاسلام في وصرح حترم المسلم لأهل لدمه
وعدينه بهم وحفاظه عليهم وعلى رواحهم ومعاذاتهم وأمره بانوى: بهم بما عودوا
عليه ولهديرها من معبه حياتهم والمبر بهم ووعيده: شديد من يقع في شى من
الخيانة والعدو بما عاهدهم عليه في صرنا هذا كنه لجد الانطباع بمعنى من رسول الله
عليه وسلم وأصحابه في معاصرة يهود بن بهجرة بن: عديته، فقد عاهدهم رسول الله
عليه وسلم وودعهم على أن لا يعاربوا ولا يظاهروا ولا يولوا عديته عدوه وهم عني
كفرهم آمنوا على ذمائمهم وأمر بهم، كان ذلك في السنة الأولى من الهجرة، ولذا كتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم كتاب بذلك عاهدتهم فيه وأنقرهم عني ذمائمهم وشرط
لهم واشترط " عليهم لكان من جاء فيه لا من الله وهذا يجبر عيبتهم ذمائمهم وإن
الذين يعضهم مؤمن بعض دون سائر، وإيه من ليعا من يهود فإن نه النصر ولا سواه
غير مظلومين لا تتناصر عليهم وإن ستم مؤمن واحد لا تسالم مؤمن دون مؤمن في
قتال في ميين لله لا عني سوء وعدد بينهم و كل عازيه عرب معا يعذب بعضهم

١- زاد أمداد في عرى خير العباد لابن هشام ج٢ ص ٧

٢- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عبد الوهاب ج١ ص ١٢٩

بعضاً وإن يهود بعض من حرمين ما دامو محاربين وإن يهود من حول أمد مع حرمين. بل يهود دينهم ولعنهم دينهم هو دينهم وأنفسهم لا من ظلم وأثم دينه لا يوحى^١ إلا نفسه وأهل بيته وإن يهود من حارب من يهود ديني بأعداء مني حشم مني لأرض مني بعينه دحله ومن الشطية مثل ما ليهود مني عوف وإن نير دون الأثم وإن مني نعية كدعهم وإن بظامة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد ولا يخرج على ثأر جرح^٢ وأنه من بينك بنفسه وإن بيته لا من ظلم وإن نير على أير هد وإن على اليهود بنفسهم وعلى مسلمين بنفسهم. وإن بينهم نصر على من حارب أهل هذه بصحيفة وإن بينهم نصيح والتبعية وألهم دون الاسم وأنه ثم بأثم امرؤ بخصمه وإن نصر بالمظلم رأى ثوب حرم جوفها لأهل هذه بصحيفة وإن أجد كالمس عبر معار ولا يم وإنه لا تحارب حرمة لا يدين أهلها وإنه ما كان بين أهل هذه بصحيفة من هدب و شجب بعباب مساهة فون مرده إلى أئمة مني محمد رسول الله على اتقى ما في هذه بصحيفة وألهم وأنه لا تحارب قریش ولا من نصرها. وإن بينهم نصر على من دهم يارب ودا دعوا إلى صبح بها حرمة وييسروه فيأنهم بصحيفة وييسروه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك عزبه بهم على أئمة مني لا من حارب من الدين على كن باسم حصنهم من جديهم الذي قينهم وأنه لا يحارب هذا بكتاب دونه ظلم أو أثم، وأنه من حرج من ومن تعد من بظلمه إلا من ظلم وأثم وأن الله جاز لمن يروى^٣

هكذا كان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يهود نديه هم على دينهم
فمن على دينهم وهو دينهم منظمون لجبر بهم محاربين معاً على عدوهم ويد

١- يوحى بطلب

٢- كذا في أبي هشام، وفي النهاية ما يخرج جرحه نير، أنفجر

٣- بنديب حيرة ابن هشام من ١٦٣٧، والبقية بالنهاية لابن كثير ج ٣ من ٢٤٩

واحدة على من أراد بالمدينة شرا، ثم يتعاون أهل كل فريق أوحى في نفقاتهم وفي ديانتهم، ومن أراد شرا فعلى نفسه وأهله، والله سبحانه مع الحقين من هؤلاء وأولئك، أما الظالمون من هؤلاء وأولئك فعليهم غضب الله ولعنته، والحكم والرد في كل قضية إلى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وتدل هذه الوثيقة على مدى العدالة التي اتسمت بها معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود، وعلى أن أساس الدولة قائم على العدالة الاجتماعية، وأن أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم ما سالموا، وأن مبدأ الحق والعدل والتعاون على البر والتقوى والعمل بخير الناس. ودفع أذى الأشرار عن المجتمع هو أبرز الشعارات التي تنادي بها دولة الإسلام^(١) ونورد هنا نظرة وتعليق على هذه الوثيقة لفصلها الشيخ محمد أبو زهرة نوجزه فيما يلي :-

يقول الشيخ: هذه وثيقة النبي صلى الله عليه وسلم التي نظم بها المجتمع الجديد لسكان المدينة، لا فرق بين مهاجرين وأنصار، ولا فرق بين مؤمنين ويهود، ويلاحظ فيها:

أ- أن النبي صلى الله عليه وسلم يحكم النظام الجديد الذي أنشأ في المدينة صار هو الرئيس الأول لتنفيذ ما اشتملت عليه الوثيقة، ولذلك لم يبح لطائفة من اليهود أن تخرج في حرب إلا بإذنه حتى لا تتورط في أمر يضطرب به أمر هذا المجتمع..

ب- أنه يقتضى هذه الوثيقة بصير اليهود والذين يقيمون بميثرب وعية واحدة فلا تكون لهم أحكام خاصة بهم لا تسرى على غيرهم، ولا يختصون بنظم لا تنطبق على غيرهم، وذلك مع الاحتفاظ بدينهم، مراعى فيه حرمة العقيدة وأن لا يكون لأحد سبيل عليهم فيها....

١- السيرة النبوية د/ مصطفى السباعي ص ٨٠

ج- إن العهد كان أساسه التعاون بين العشائر...

د- أنه مع التعاون بين العشيرة، هناك تعاون عام بحيث يتضافر المؤمنون جميعاً.. وأن الحلف بوجبه أن يكون عدو النبي صلى الله عليه وسلم عدوا لليهود فلا يجار قرشى ولا من يتناصر قرشياً، فعلى اليهود ألا يوالوا المشركين لأنهم أعداء الله تعالى وأعدائهم، وذلك لأن الميثاق يجعل أهل المدينة مسلمين ويهود أهل ولاء واحد، عدوهم واحد، ومناصرتهم واحدة.. وذلك ليكون أمن الجميع واحداً..... ثم يقول:

أهل ولى به اليهود ١١١

إن الأمور التي تجري كقبلة بالجراب مع ملاحظة أن الأمر بوجوب الوفاء من الجانبين، وإن أخل أحدهما ذهبت الحقوق التي تضمنتها الرقعة له، وإذا كان الإخلال فيما يتعلق بالأمور الخارجية وهي موالاتة اليهود للمشركين على المؤمنين، فإنه في هذه الحالة تزول صفة الجوار، ويكون من الواجب على من ينكث أن يترك الجوار ويتغلب من الإقامة في المدينة، وحل للطرف الآخر أن يخرج طوعاً أو كرهاً (١) وقد أدرك المسلمون في ظل هذه المبادئ والأسس أن الإسلام بكتابه العظيم ورسوله الكريم يريهم على التسامح وسعة المهادن والإحسان إليهم والبر بهم، ويتباهم عن أن يحفظوا لهم أى كراهية أو حقد أو أن ينالوهم بأى إساءة، كما أمرهم بالوفاء بالعهود والمواثيق، وحلهم من نقض عهدهم بأى صورة من الصور (٢) قال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون» (٣)

وقد جعل القرآن الكريم الخروج عن فضيلة الوفاء، كالخروج من فضيلة الإنسانية

١- أنظر: خاتم النبیین ص ٦٧٤-٦٧٦.

٢- لمعات في الثقافة الإسلامية / عمر هرة الخطيب ص ٢٧٩.

٣- سورة النحل الآية (٩١).

كلها حيث قال جل شأنه «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون... الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون... فإما تتقنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون... وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء... إن الله لا يحب الخائنين» (١٦).

«وكان المسلمون أول من وضع قاعدة الرِّفَاء بالعهد والمواثيق ثقة منهم بأن الرِّفَاء بالعهد في ذاته قوة فوق أنه عدالة وقضيلة، وهو دعامة أساسية من دعائم السلام، إن العهد في ذاته قوة والتزامه قوة لأنه يؤمن فيه جانب الأعداء والاعتداء، وأمن الاعتداء بثبت دعائم السلام، والسلام تطمئن فيه الشعوب وتستقر (١٧).

هذا ما كان من الإسلام في أول عهده نحو اليهود وغيرهم في المدينة..

فماذا كان من اليهود نحو الإسلام ورسوله؟

أولاً : التفهيم .. جاء في التوراة وغيرها من كتب اليهود ما يشير بحسن النية صلى الله عليه وسلم ويعرف به وبصفاته من مثل عاروى عن زيد بن أسلم قال : بلغنا أن عبد الله بن سلام يقول : «أن صفة رسول الله في التوراة، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وخزناً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكِّل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالأسواق، ولا يجرى السيئة، بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن أُنفيته حتى أقیم به الملة المتعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عمياء، وآذاناً صماء وقلوب غلغا، قبل بلغ ذلك كعب الأخبار فقال : صدق عبد الله بن سلام (١٨).

من أجل ذلك راح اليهود يعلنون بين حين وآخر عن قرب ظهور النبي الأخير

١- سورة الأنفال الآيات من (٥٥-٥٨).

٢- لمحات في الثقافة الإسلامية مرجع سابق ص ٢٨٤.

٣- الطليقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٨٧.

وتباهرون بذلك ويهنددون بالالتصام إليه، وكانوا يطلبون من الله عز وجل النصر على أعدائهم بالنبي المنتصون في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في التوراة.

وأخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وأبو نعيم والبيهقي كلاهما من الدلائل من طريق حاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري قال : حدثني أشياخ منا قالوا لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا لأن معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن، وكانوا إذا بلغهم منا ما يكرهون قالوا إن نبيا لبعث الآن قد أطل زمانه تبعه فنقاتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعناه وكفروا به قتلنا والله وفيهم أنزل الله : "وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به" ١٦١.

كان اليهود ينفون من وراء ذلك التبشير بالرسول الجديد. والتهديد به من هذا من السيطرة على العرب. واحتكار المقدرات المالية والمعنوية، وكانوا يظنون أنه سيكون منهم ومن سلاطنتهم، ولم يكن الكثير من أعيان اليهود يتوقعون أن النبي الجديد سيحيي هذه المرة من سلالة أخرى غير السلالة اليهودية، وأنه بانضمامه العربى سيشكل خطرا على وجودهم المستقل، وبهدوته المالية المفتوحة سيكتسح مجتمعاتهم القومية المغلقة، ويمادته العدالة الواضحة سيفضح طغوسهم وأسرارهم التي يرتزقون منها ويضمنون بقائهم في المراكز العليا لئلا يورسهم.

ثانيا : الكيد - وما أن جاء الموعد .. وحل الأجل المضروب في التوراة والإنجيل، ولم يظهر في اليهود النبي الذي ظنوه منهم، وولد محمد صلى الله عليه وسلم يحمل علامات النبوة المادية والمعنوية حتى بدأ اليهود يتخوفون من أن تغطى ظنونهم. وألا تكون النبوة فيهم فيصابون بخسارتين، وأصبح الطفل الذي سيمت إلى

١- فتح القدير / الشوكاني ج ١ ص ١١٣/ ١١٣ تفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة، وانظر خاتم النبيين